

السعودية تتجنب التصعيد في أزمة باب المندب



أبرزت صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية أن السعودية تحافظ على حضور منخفض في أزمة باب المندب وتعمل على تجنب التصعيد.

وذكرت الصحيفة أنه بعد أن استولى الحوثيين على العاصمة اليمنية في عام 2014، قاد الأمير السعودي محمد بن سلمان البالغ من العمر ثلاثين عامًا آنذاك تدخلًا عسكريًا لدرهم.

وفي حينه شرع الطيارون السعوديون في حملة قصف سميت عملية عاصفة الحزم داخل اليمن، الدولة الجبلية الواقعة على حدودهم الجنوبية وبمساعدة وأسلحة أمريكية، وتوقع المسؤولون هزيمة الحوثيين بسرعة.

لكن بدلا من الانتصار السريع، أمضت قوات محمد بن سلمان سنوات غارقة في صراع انقسم إلى قتال بين جماعات مسلحة متعددة، واستنزفت مليارات الدولارات من خزائن السعودية وساعد في إغراق اليمن في واحدة من أسوأ الأزمات الإنسانية في العالم، ومات مئات الآلاف من الأشخاص بسبب العنف والجوع والأمراض التي لم يتم علاجها.

وفي نهاية المطاف، قامت المملكة وشريكها الرئيسية، الإمارات، بتقليص مشاركتها العسكرية - جزئياً - بسبب الضغوط الأمريكية - ودخل المسؤولون السعوديون في محادثات سلام مع الحوثيين، الذين تمكنوا من السيطرة على شمال اليمن.

والآن، دفعت الحرب في غزة الحوثيين - الذين تحرك أيدولوجيتهم العداء تجاه الولايات المتحدة وإسرائيل ودعم القضية الفلسطينية - إلى دائرة الضوء العالمية غير المتوقعة.

لقد تسببت هذه الميليشيا في خلق حالة من الفوضى في البحر الأحمر من خلال إطلاق الصواريخ والطائرات بدون طيار باتجاه إسرائيل وعلى السفن التجارية، وقد قامت الولايات المتحدة بتنظيم تحالف بحري دولي لمحاولة ردعها وتدرس إجراءات أخرى لمواجهة الجماعة.

ومع ذلك، تفضل السعودية مراقبة هذه التطورات الأخيرة من على الهامش، حيث يعد احتمال السلام على حدودها الجنوبية هدفاً أكثر جاذبية من الانضمام إلى جهد لوقف الهجمات التي يقول الحوثيون إنها موجهة إلى إسرائيل - وهي دولة لا تعترف بها المملكة رسمياً والتي رفضها الشعب السعودي على نحو واسع.

ولي العهد الأمير محمد هو الآن الحاكم الفعلي للسعودية، وهو غير مهتم بالانجرار مرة أخرى إلى صراع مع الحوثيين، وفقاً لمسؤولين سعوديين وأمريكيين.

وقال الأمير محمد في مقابلة تلفزيونية في سبتمبر/أيلول - قبل وقت قصير من بدء الحرب في غزة - عندما استضاف المسؤولين السعوديون وفداً من الحوثيين في العاصمة السعودية الرياض: "لكي تكون هناك منطقة مستقرة، فأنت بحاجة إلى تنمية اقتصادية في المنطقة بأكملها" مضيفاً "ليس من الضروري أن ترى المشاكل في اليمن."

الأمير يعمل على تهدئة الصراعات والتوترات في جميع أنحاء الشرق الأوسط، بما في ذلك من خلال التقارب مع إيران، المنافس الإقليمي للمملكة، بينما يسارع إلى إحراز تقدم في خطته الشاملة لمحاولة تحويل السعودية إلى مركز تجاري عالمي بحلول عام 2030.

ويقول المسؤولون والمحللون السعوديون إن عودة صواريخ الحوثيين التي تحلق فوق الرياض أو تضرب بلدات جنوب السعودية - وهو أمر شائع نسبياً في ذروة حرب اليمن - هي آخر ما يحتاجه الأمير في سعيه

لإقناع السياح والمستثمرين بأن المملكة المسلمة منفتحة لعالم المال والاعمال.

وقال الأمير فيصل بن فرحان، وزير الخارجية السعودي، في مقابلة تلفزيونية هذا الشهر: "إن التصعيد ليس في مصلحة أحد".

وأضاف: "نحن ملتزمون بإنهاء الحرب في اليمن وملتزمون بوقف دائم لإطلاق النار يفتح الباب أمام عملية سياسية".

إن الاستراتيجية السعودية الجديدة في اليمن - التي تبتعد عن العمل العسكري المباشر وتتجه نحو تنمية العلاقات مع الفصائل اليمنية - مدفوعة بحقيقة أنه بعد ثماني سنوات من الحرب، انتصر الحوثيون فعلياً، ومع هدوء القتال، استقرت الميليشيا - التي تتبنى أيديولوجية دينية مستوحاة من طائفة فرعية من الإسلام الشيعي - في السلطة في شمال اليمن، حيث أنشأت دولة نموذجية فقيرة تحكمها بقبضة من حديد.

ويعتمد الحوثيون على قدراتهم العسكرية الموسعة وشجاعتهم الواضحة التي تم شحذها في اشتباكاتهم مع التحالف الذي تقوده السعودية بينما يواجهون احتمال الصراع مع الولايات المتحدة بفرحة علنية.

وقد هدد عبد الملك الحوثي، زعيم الميليشيا، في خطاب متلفز يوم الأربعاء، أنه إذا أرسلت الولايات المتحدة جنوداً إلى اليمن، فإن قواتها ستواجه صراعاً أسوأ من حروبها الطويلة في أفغانستان وفيتنام، وأعلن أن الحوثيين "ليسوا خائفين" من قتال الولايات المتحدة بشكل مباشر، وفي الواقع يفضلون ذلك.

وإذا قال الحوثيون إنهم يريدون الحرب مع أمريكا، فيبدو أنهم استغلوا الصراع في غزة كفرصة لتعزيز هدف مركزي.

"الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، اللعنة على اليهود" هو جزء من شعار الجماعة، وقد صور الحوثيون هجماتهم على السفن التجارية على أنها معركة عادلة لإجبار إسرائيل على إنهاء حصارها لغزة.

ويُعد الحوثيون أيضاً ذراعاً مهماً لـ "محور المقاومة" الإيراني، والذي يضم جماعات مسلحة في جميع أنحاء الشرق الأوسط - على الرغم من أن محللين يمينيين ومسؤولين سعوديين يقولون إنهم ينظرون إلى الميليشيا على أنها مجموعة يمنية معقدة وليست وكيلاً إيرانياً بحتاً.

وفي خطابه يوم الأربعاء، طالب السيد الحوثي الدول العربية الأخرى بالتنحي جانباً و"السماح للأمريكيين والإسرائيليين بالدخول في حرب مباشرة معنا".

وقال: "إذا كنت تريد الرقص على جثث الضحايا، فارقص"، في إشارة ضمنية إلى سلسلة من الحفلات الموسيقية الأخيرة في المملكة العربية السعودية، بما في ذلك عرض لفريق ميتالिका، لكن لا تشاركوا الأمريكان في حرب ضدنا".

يقول شوقي المقطري، وهو مستشار يمني كبير في منظمة البحث عن أرضية مشتركة وهي منظمة مقرها تعمل على حل الصراعات، إن مثل هذه الحرب ستكون "فرصة ذهبية لهم لتحقيق خطابهم، وتمكينهم من التجنيد بسهولة واكتساب المصداقية من الناس".

ويصدق هذا بشكل خاص لأن القصف الإسرائيلي لغزة — الذي بدأ رداً على الهجمات القاتلة التي شنتها حماس في السابع من أكتوبر/تشرين الأول — يثير الحزن والغضب في مختلف أنحاء الشرق الأوسط، ولا يستهدف إسرائيل فحسب، بل وأيضاً الولايات المتحدة، حليفها الرئيسية.

قبل بدء الحرب في غزة، كان الحوثيون على وشك التوقيع على اتفاق سلام مدعوم من الولايات المتحدة والسعودية من شأنه أن يرسخ موقعهم في السلطة ويسمح للمجتمع الدولي بإعلان بداية نهاية الحرب في اليمن.

وقال محللون إنه حتى الآن على الأقل، لا يبدو أن رد فعل الحوثيين على حرب غزة قد قلص شهية السعودية للتوصل إلى اتفاق بشأن اليمن.

وقال أحمد ناجي، أحد كبار المحللين اليمنيين في مجموعة الأزمات الدولية: "لم تقوض الحرب في غزة المحادثات بين الحوثيين والسعوديين، بل على العكس من ذلك، فقد جعلتهم أقرب إلى بعضهم البعض".

وفي مقابلة مع صحيفة نيويورك تايمز في أواخر سبتمبر/أيلول، قال علي القحوم، عضو المكتب السياسي لأنصار الله، الذراع السياسي للحوثيين، إن المفاوضات مع السعودية كانت "مليئة بالجدية والتفاوض".

وقال السيد القحوم إنهم ناقشوا كيفية تسهيل دفع رواتب الموظفين الحكوميين — الذين لم يحصلوا على رواتبهم لسنوات — واحتمال إعادة فتح المطارات والموانئ، وهي خطوات يمكن أن تخفف معاناة ملايين

اليمنيين الذين هم في أمس الحاجة إلى المساعدات.

وأضاف "كانت وجهات نظرنا متقاربة للغاية" مضيفًا "ما يعيق التوصل إلى اتفاق هو تنصل السعودية والإمارات وبريطانيا وأمريكا من التزامات معالجة الدمار الذي خلفته ثماني سنوات من الحرب وقضايا أخرى مثل إعادة الإعمار والتعويضات".

ويبدو أن ذلك إشارة إلى التعويض المالي الذي يتوقع الحوثيون الحصول عليه من السعودية كجزء من الحافز لأي صفقة.

ويقول المحللون إن الحكومة السعودية من المرجح أن تتضمن شكلاً من أشكال الدفع لإنجاز الصفقة.

وفي خضم هذه المفاوضات مع الحوثيين، واصلت المملكة أيضًا تنمية علاقة أكثر دفئًا مع إيران، عدوتها القديمة، وقام الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي بزيارته الأولى إلى الرياض في تشرين الثاني/نوفمبر.

وأعلنت الولايات المتحدة هذا الأسبوع عن تشكيل قوة عمل بحرية للتصدي للتهديد الذي يشكله الحوثيون في البحر الأحمر، ولم تكن السعودية والإمارات من بين أعضائها؛ وكانت الدولة العربية الوحيدة التي انضمت هي البحرين، حيث أثارت هذه الخطوة غضبًا شعبيًا.

وكتب سليمان العقيلي، المعلق السياسي السعودي، على منصة التواصل الاجتماعي اكس إن المملكة "ليست مهتمة بأي جهود غربية لحماية إسرائيل".

كما أعرب العديد من النقاد في الخليج عن إحباطهم من الولايات المتحدة في الأيام الأخيرة، قائلين إن السياسة الأمريكية تجاه الحرب في اليمن ساعدت الحوثيين على الازدهار.

وقال جون كيربي، المتحدث باسم الأمن القومي بالبيت الأبيض، للصحفيين، إن الولايات المتحدة تحترم أن بعض الدول قد يكون لديها "أسباب داخلية" للبقاء خارج قوة العمل.

قال مسؤولان أمريكيان إن المخططين العسكريين الأمريكيين أعدوا أهدافًا أولية للحوثيين في اليمن، إذا أمر كبار المسؤولين في إدارة بايدن بتوجيه ضربات انتقامية، لكن المسؤولين العسكريين يقولون إن البيت الأبيض لم يظهر أي رغبة في الرد عسكريا على الحوثيين والمخاطرة بحرب إقليمية أوسع نطاقا.

قال الأمير محمد في مقابلة أجريت معه عام 2018، عندما سُئل عن الحرب في اليمن: "في بعض الأحيان في الشرق الأوسط، لا يكون لديك قرارات جيدة وقرارات سيئة" مضيفًا "في بعض الأحيان يكون لديك قرارات سيئة وقرارات أسوأ".